





Les vie et la mort (Les goûters philo)

©Éditions Milan, 2005

Author: Brigitte Labbé • Michel Puech

Illustration: Jacques Azam

Translation: Bassel Badihi Al Zein

Review : Mouchir Basil Aoun

Editing: Mozah Almazrouei

Print permission number

MF-02- 8798412

ISBN

9789948809111

Objective classification

-Children's philosophy

الحياة و الموت (المذاقات الفلسفية) ©بيت الفلسفة

ذ.م.م. جميع الحقوق محفوظة 2022

تأليف: Brigitte Labbé • Michel Puech

رسومات: Jacques Azam

ترجمة: باسل بديع الزّين

مراجعة: مُشير باسيل عون

الإخراج الداخلي: موزه المزروعي

رقم إذن الطباعة

MF-02- 8798412

الترقيم الدولي

9789948809111

التصنيف الموضوعي

- فلسفة أطفال

المذاقات الفلسفية



الحياة

و

الموت

تأليف: Brigitte Labbé • Michel Puech

رسومات: Jacques Azam

ترجمة: باسل بدیع الرّين

مراجعة: مُشير باسيل عون



بيت الفلسفة
Philosophy house

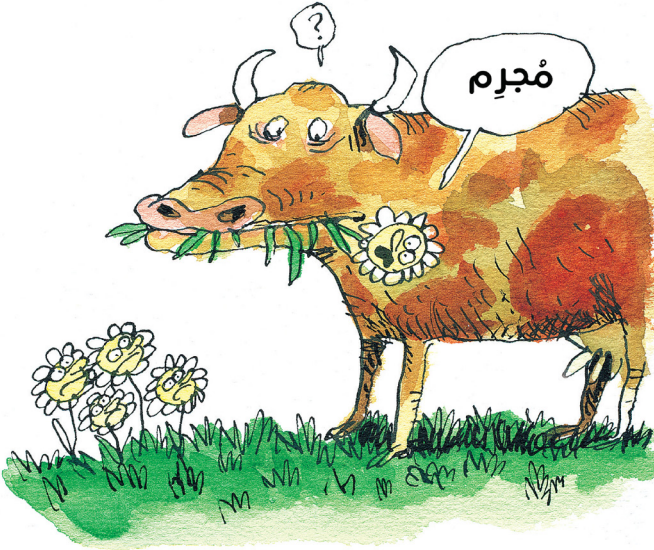
الفهرس

- 7 كيف نعلم أنّ شيئًا ما حيّ؟
- 9 ولكن ماذا عن البداية؟
- 10 مذبحة الفُطر
- 12 دورة الحياة
- 14 بعوضة قذرة، كلب لطيف
- 15 الملكُ مجنونٌ
- 16 الحياة البشريّة
- 18 الكائن البشريّ يقود حياته
- 20 ذكرى ... وشخصيّة
- 22 شخصيّة ... أثر
- 23 أثر ... نفس
- 24 لماذا نموت؟
- 26 ماذا لو أنّ الإنسان لا يموت؟
- 28 أحيانًا يكون الأمرُ سابقًا لأوانه
- 29 بعد الموت
- 31 نخشى موت الأناس الذين نُحبّهم
- 32 لكن ماذا عن موتنا؟
- 34 الموت يجعلنا نبذل جهدًا مضاعفًا
- 37 أنشطة

كيف نعلم أنّ شيئاً ما حيّ؟

هل يُمكن القول إنّ النّجمَ يحيا؟ والصّخرةَ تحيا؟ وورقةَ العشبِ تحيا؟ الواقع أنّنا نعلم أنّ شيئاً ما يحيا عندما يتغذّى: فالوردةُ تشرب ضوءَ الشّمس، وماء المطر. وبفضل الماء، والهواء، والضّوء، تتغذّى، وتنمو.

نعلم أيضاً أنّ كائناتنا ما حيّ عندما يتناسل، أي عندما يكون بإمكانه أن يصنع كائنات حيّة أخرى. فالحصاة لا تصنع حصى أخرى. لكنّ الأّقحوانات تتناسل بفضل حبوب لقاحها التي تطير في الهواء أو التي تحملها التّحلات.



توجد على كوكبنا مليارات أشكال الحياة الأوائل بحيث
يستحيل عدُّها أو إحصاؤها: فمن المستحيل عدُّ كلِّ أوراق
العشب، وكلِّ الأصداف، والعناكب، والصفصاف الباكي،
والطحالب، والغربان، وأسماك السلمون، والبشر، وديدان
الأرض ...



إنَّ عالم الأحياء، هو عالم الكائنات البشريَّة، لكنَّه أيضًا
عالم الطحالب، والنباتات، والأشجار، والورود، والفئران،
والأفاعي، والأسود، والكلاب، والدُّباب ...
أمَّا الكواكب، والصخور، وحبَّات الرَّمَل، والنَّجوم، والذهب،
فليست جزءًا من عالم الأحياء. فعالمُها هو عالم المادَّة.

ولكن ماذا عن البداية؟

إنَّ الحيوانات الأولى التي ظهرت على الأرض كانت صغيرة جدًا إلى حدِّ أنها كانت تحتاج إلى عدسة مُكبَّرة من أجل رؤيتها. نُطْلِق على الأشياء الصَّغيرة هذه اسم خلايا. تجمَّعت بعض هذه الخلايا، وكوَّنت طحالب، ونباتات...

ومن ثمَّ أنشأت هذه الخلايا الحيوانات الصَّغيرة، فالحيوانات الأكبر، فالأسماك، والدَّينوصورات، ولاحقًا الطَّيور. بعض الحيوانات، والرئيسيّات تحديدًا، وقفت عوَضًا عن أن تمشي على أربعة. كان الأمرُ لها مفيدًا عمليًّا لكي ترى أبعد وتتمكَّن من الصَّيد.

ولمَّا لم تُسعفها قوائمها الأماميّة في السَّير، استطاعت أن تجعلها كالأيدي في الاستخدام: تعلَّمت المهارات اليدويّة، وصناعة الأغراض العمليّة. لذلك، راحت تُفكِّر، وأصبحت شيئًا فشيئًا أكثر ذكاءً. تغيَّرت هذه الرّئيسيّات على امتداد ملايين السنين. وأصبحت ما نُطْلِق عليه اسم البشر. إنَّه تحوَّل طويل جدًّا استمرَّ ملايين السنين.



إنَّ حياة الكائنات البشريَّة، كحياة الأسماك، والأفاعي،
والعصافير، والورود، تأتي من الخلايا الصَّغيرة نفسها التي
وُجِدَت في البداية.

مذبحة الفطر

هذا الصَّباح، خرج دافيد وصديقه ماري للبحث عن الفطر
في الغابة الواقعة بالقرب من قريتهما. إنَّه موسم الفطر، وفي
غُضون ساعتين، جَمَعَا أكثر من مائة حَبَّة. وما لبثا أنَّ باعاها
في سوق السَّبت، ورَبِحَا ما يكفي من المال لكي يقوما بعدَّة
جولات في سيارَات السَّباق في حلبة المهرجان القروي.

لا تُثير هذه القِصة الاهتمام! إنَّها ليست مُضحكة، ولا
تُعَلِّمنا شيئًا، إذ لا يُوجد ما نتوقَّعه، كما أنَّها لا تُسبِّب الخوف.
ومع ذلك، فهي قصَّة موت:

هذا الصَّباح، خرج دافيد وصديقه ماري لقتل الفطر في
الغابة الواقعة بالقرب من قريتهما. إنَّه موسم الفطر، وفي
غُضون ساعتين، قَتَلَا أكثر من مائة حَبَّة. وما لبثا أنَّ باعا
الفطر في سوق السَّبت، ورَبِحَا ما يكفي من المال لكي يقوما
بعدَّة جولات في سيارَات السَّباق في المهرجان القروي.

الفطر كائنات حيّة: إنّها تتغذّى، وتُنتج حَبّات فطر أخرى.

عندما يتمّ انتزاعها من الأرض كي يتمّ تناولها، هذا يعني أنّها ماتت. لكنّ دايفيد وماري ليسا مُجرَمَين: إنّهما بحاجة، ببساطة، إلى تناول الطّعام لكي يعيشا.



والحال أنّ الكائنات الحيّة تتغذّى من كائنات حيّة أخرى.
أي إنّها تقتلها. إنّها دورة الحياة.



دورة الحياة

تجد سارة في قتل الأبقار فعلاً قاسياً. عندما يتناول أخوها الهمبرغر تنعته بالقاتِل، لا سيّما عندما ترى دم اللحم يقطر في صحنه. أمّا هي، فتتناول قطع خبز صغيرة مستديرة، وتضع في طبقها القليل من السَّلطة، وبعضاً من شرائح البندورة، وقطع الخيار، والجبنّة، والمايونيز، وتجد هذا الطّبق لذيذاً. يسخر أخوها منها، إذ لا يكثرث على الإطلاق لقصصها عن الأبقار.

لكن من أجل صناعة قطع الخبز الصّغيرة المستديرة هذه التي تعشقها سارة، استخدمنا أيضاً كائنات حيّة: من أجل صناعة الخبز لا بدّ من طحن القمح.

إنّ سنابل القمح حيّة في الحقل، وميتة في الخبز. ثمّة شخص ما قام بجمعها وسحقها ليصنع منها دقيقاً.

يحتوي المايونيز على بيضٍ كان يُمكن أن تتحوّل إلى صيصان صغيرة.

البندورة، والخيار كائنات حيّة.

ومن أجل تصنيع الجبنّة، نحتاج إلى الحليب، ولكي نُعطينا البقرّة الحليب، تقوم بقضم العشب. والعشب كائن حيّ.

الكائنات الحيّة تتناول كائنات حيّة أخرى: فالتمّساح يأكل
الضفادع، والضفادع تأكل الجراد، والجراد يلتهم البعوض،
والبعوض يتغذى من دم حيوانات أخرى.

لِسارة الحقّ في أن ترفض اللّحم، وفي أن تُحبّ قطع الخبز
الصّغيرة: حياة البقرة، في نظرها، أهمّ من حياة القمح.



بعوضة قذرة، كلب لطيف

يرى مارتن Martin بعوضة تحطّ على ذراعه. يرفع يده بهدوء، ويضربها! فإذا به يقتلها بصفعةٍ قويّة. ماتت البعوضة قبل أن تَخِذَ. أمّا سامي، الشرطيّ الذي يُرافق الأطفال عند عبور الشارع بعد انتهاء الدّوام المدرسيّ، فيعرف مارتن جيّدًا. يتسم له، ويقول: "أحسنّت يا مارتن! إذ قضيت على هذه البعوضة!" بعد دقيقتين، يسمع سامي صوت صراخ: تَبَرَّرَ كلبٌ إحدى السيّدات على قدم سيّدٍ محترم، فجُرَّ جنونه، وراح يركل الكلب بقدمه، ووقعت الكارثة: لقد مات الكلب! سارع الشرطيّ إلى توقيف الرّجل، وقاده إلى مركز الشرطة. بكّت السيّدة، واستولت على جميع النّاس الموجودين هناك مشاعر الاستنكار.

الواقع أنّ حياة البعوضة تُثير سخرية كلّ النّاس. أمّا حياة الكلب، فهي مهمّة. نحن ندرك أنّ كلّ الحيوانات ليست لها القيمة نفسها. إذ ما من أحد يُحبّ البعوض.

لكن لو أنفق مارتن وقته في قتل البعوض، وانتزاع أجنحتها من أجل المتعة والتّسلية، لوجدنا هذا الأمر غريبًا وشاذًّا. مع ذلك، لو قتل بعوضةً دفاعًا عن نفسه، فلا بأس من فعله.



إذا قطف شخصٌ ما أزهارًا، ورمى بها على قارعة الطريق، فإنَّ الورود تموت من دون وجه حقٍّ. لكن إذا قُطِفَتْ لِيُصَنِّعَ منها باقةٌ أزهار، فإنَّنا نستحسن ذلك، إذ إنَّ الأزهار تموت، ولكنَّها بموتها تُجَمِّلُ المنزل. مع ذلك، ثمة أناس لا يقطفونها البتَّة، كي يتركوها تحيا على ساقها. علاوة على ذلك، يمنع القانون في الجبل، في بعض الأحيان، قطفَ الأزهار، لأنَّها نادرة. وعليه، ترغب الكائنات البشريَّة في تركها تعيش، وتتكاثر.

الواقع أنَّ لجميع الحيوانات قيمة. لكنَّها لا تملك القيمة نفسها في نظر جميع النَّاس، وهنا تكمن المشكلة.

الملكُ مجنونٌ

تنسى الكائنات البشريَّة في بعض الأحيان أنَّ كلَّ الحيوانات تملك قيمة. فتتصرَّف بالحياة كما يحلو لها لأنَّها أكثر ذكاء من كلِّ الكائنات الأخرى، فضلًا عن أنَّها تشعر بنفسها قويَّة جدًّا، ومقتدرة جدًّا. وتعتقد أنَّ كلَّ الحيوانات مُلكٌ لها. لكنَّها تنسى أنَّها لا تعيش فوق الكائنات الأخرى، بل تعيش معها، وفي وسطها، وبفضلها.

إيسو Ysoo الملك الجديد لكوكب زاربوس Zarbus غريبٌ ومُخيف: إنَّه صغيرٌ، ولا يحتمل أبدًا أن يكون هناك شيء ما أو كائن ما أكبر منه. سبق له أن طرد كلَّ الرِّجال والنِّساء الذين يفوقونه طولًا. كما قام بطرد الرِّافات والفِيلَّة. لكن تبقَّت مشكلة ضخمة: الأشجار. لَمَّا لم يكن بمقدوره إبعادها، فقد أمَرَ بقطعها. في غضون ستَّة أسابيع، حصل ما يلي: لم تبقَ أيُّ شجرة على سطح كوكب زاربوس. عمَّ السَّروُر قلبَ إيسو،

إذ لم يعد هناك شخص أو شيء أكبر منه. مرّت الأعوام، وقلق السكّان إذ أصبحت الأرض قاحلةً لأنّ السماء لم تعد تُمطر، والمحاصيل تضاءلت، وبدأ العالم بأسره يشعر بالجوع. بعد بضع سنوات، أصبح الكوكبُ صحراء برّية: مات النَّاسُ من الجوع والعطش.

نسيَ الملك أنّه يعيش أيضًا بفضل الأشجار. الواقع أنّ الاشجار تُساعدُ الغيومَ في تكوّنِها، والغيوم تجلب المطر، والمطر يسقي الأرض، فينبت الزّرع. ويقوم النَّاسُ بِجَنِّهِ ويتغذّون منه.

إذا سمّم النَّاسُ العشب الذي ترعاه الأبقار، سمّموا أنفسهم بحليبيها الذي يشربونه، ولحمها الذي يتناولونه. أن تفعلَ ما يحلو لك مع سائر الكائنات الحيّة الأخرى، يعني أن تخلق مشكلات جدّية.



ينبغي للنَّاس ألا ينسوا أنّ كلّ الأحياء جزء من عائلة واحدة. مع ذلك يحتفظون بمكانة خاصّة في هذه العائلة.

الحياة البشريّة

تتخطى حياة أيّ كائن بشريّ حياة جسده. بالطبع، يكبر الإنسان، يأكل، ويشرب، ويتنفّس، وينام كي يُريح جسمه، ويتبول، ويتغوّط، ويستحمّ، ويعتني بجسده. يفعل تمامًا كما

تفعل الحيوانات. لكنّ حياته ترتبط أيضًا بالتكلّم، والإصغاء،
والقراءة، والحبّ، وعشق مشهد غروب الشّمس، وكتابة
القصائد، والبكاء، والرّقص، والرّسم، وبأشياء أخرى كثيرة.

إذا أردنا أن نروي قصّة حياة زهرة،
فيمكننا أن نقول:

إنّها حمراء مع بعض النّقاط الصّفراء،
تنمو في غضون أسبوعين، وتملك
خمس عشرة بتلة، وتذبل بسرعة.



إذا أردنا أن نروي قصّة حياة أسد، فيجب علينا أن نقول:
إنّه يركض بسرعة، ويملك مخالب كبيرة، يأكل الغزلان،
فَرُوهُ جميل جدًّا، وتضع أنثاه أشبالاً ...
إذا أردنا أن نروي قصّة حياة إنسان، فينبغي لنا ألا نقول
إنّه:

يأكل البيض والسّمك، يركض ركضًا أبطأ من الغزال،
وأسرع من التّملة، ويمشي على قَدَمين، ويتجعد وجهه
عندما يكبر، له شعر شائك، ويتشاب، بخاصّة عند المساء...
بل ينبغي لنا أن نقول:

إنّه يعشق سماع الموسيقى، يُحبّ جوليت، ويبكي لأنّ
أعزّ أصدقائه رحل، ويضحك عندما يتلاعب بتعابير وجهه،
ويصنع منحوتات خشبيّة جميلة ...

هذا بالضبط ما يجعل حياتنا حياةً بشريّة، وليس الحياة النباتيّة أو الحيوانيّة. لذلك لا يُمكن لقيمة الحياة البشريّة أن تُقارَن مع أيّ حياة أخرى.

يُتفق جميع البشر على أنّ قتل أيّ كائن بشريّ فعلٌ مُحَرَّم وخطير. ما من أحد يقول العكس. مع ذلك، يفعل النّاس ما لا يقولونه. إذ يتحاربون، ويتقاتلون.

لكنّ المسألة ليست بهذه البساطة: فعندما يتعرّض أحد للهجوم، هل ينبغي له أن يترك نفسه يُقتل أم يُدافع عن نفسه ويقتل بدوره؟ إذا قاد المعتدين مجنونٌ يُريد قتل العالم بأسره، فهل يجدر بنا تركه يقوم بما يريد القيام به؟

في بعض الأحيان، يقتل البشرُ بشراً آخرين لكي يحموا أنفسهم، أو لكي يتفادوا وقوع المزيد من القتلى. نقتل، في بعض الأحيان، لكي نُدافع عن الحياة.

لكن هذا لا يمنعنا من التّفكير في أنّ حياة الكائن البشريّ - أيّ كائن بشريّ - هي أهمّ من كلّ شيء.

الكائن البشريّ يقود حياته

النّحلة ليست حرة: إنّها توجد على الأرض لكي تصنع العسل، هذا كلّ ما لديها.

القُنْدُس⁽¹⁾ ليس حُرّاً: فهو يُنْفِق حياته في بناء سدود في الأنهار.

(1) القُنْدُس: حيوانٌ قارضٌ من الفصيلة القُنْدُسيّة، ككُ الثَّورَة، له ذنبٌ قويٌّ مفلطح، وغشاءٌ بين أصابع رجليه يستعين به على السباحة، يستوطن أوروبا وأمريكا الشمالية.

يبدو الأمر كما لو أنّ الحيوانات وُلدت في مسرح كبير حيث يؤدّي كلّ حيوان دورًا مُعدًّا له سلفًا. يؤدّي دورًا لم يختَره أبدًا: النحلة لها زيُّ بنيّ، وعندما تُفتَح الستارة، ينبغي لها أن تصنع العسل. الأمر على هذا النحو، إذ ما من أحدٍ يطلب رأيها.

عندما تموت، تحلّ محلّها نحلة مُمثلة أخرى، وما من أحد يتذكّر أيّا من النحلّات المُمثّلات، إذ لا يوجد أيّ اختلاف بين حياتهنّ.

عندما يُولد كائن بشريّ، لا يرتدي زيًّا، ولا يملك دورًا ليؤدّيه. يجب عليه أن يصنع مسرحيته بنفسه، وأن يبتكر أزياءه، وأدواره: ينبغي له أن يبتكر حياته. عندما تُسدّل الستارة، في نهاية المسرحيّة، نتذكّر أشياء كثيرة عنه، إذ ما من أحدٍ لعب الدور كما لعبه: حياته فريدة، ولا تُشبه أيّ حياة أخرى.

بعبارة أوضح، لا تُشبه الحياة البشريّة حياة الحيوانات،



لأنّ الكائن البشريّ يقود حياته، وهو صاحب القرار. إنّهُ حرّ في أن يسلك الطريق التي يختارها. كلّ حياة بشريّة متميّزة باختلافها، وكلّ شخص يختار طريقه. شيئًا فشيئًا، يبني الإنسان ما نُسمّيه السّخصيّة.

ذكرى... وشخصية...

الشَّخصِيَّة هي الجزء المهم من الحياة البشريَّة، وهي أهم من أيّ جزء من أجزاء الجسد. أي إنّها أكثر أهميَّة من اليدين، والقدمين، والشَّعر، والعينين ...

كان ماكسيم يبلغ من العمر ستّ سنوات عندما انتقل أهله إلى السَّكن في مكان آخر. شعر بحزن شديد، وبكى بكاءً مُرّاً لأنَّه ترك غرفته ورفاقه، وبخاصَّة لوكاس، أعزَّ أصدقائه. اليوم، يبلغ ماكسيم من العمر إحدى عشرة سنة. وهو يكاد يتذكَّر القليل من غرفته القديمة: ربَّما كان لونُ السَّجَّاد أزرق، لكنَّه غير متأكَّد من ذلك. كان سقف غرفته مرتفعًا مع عوارض خشبيَّة، فربَّما تكون هذه الذِّكري غير صحيحة. مع ذلك، عَشِق تلك الغرفة، وكان يبدو غريبًا عنده ألا يتذكَّر شيئًا منها. لكنَّه يتذكَّر كلَّ شيء عن صديقه لوكاس، يتذكَّر جيِّدًا: سباقاتهما على الدَّرَاجات، والخوف الَّذي اعتراهما في اليوم الَّذي كَسَرا فيه الطَّاولَة الزَّجاجيَّة في غرفة الجلوس. ويتذكَّر أيضًا ضحك لوكاس الجنوني عندما أعطى إيفيس المزعج قطعة خبز بالشُّوكولا مليئة بالخردل، والعنكبوت البلاستيكي الَّذي دسَّاه في حقيبة صديقتهما كونستانس ... عندما ينام ماكسيم في سريره ليلاً، يُحِبُّ أن يتذكَّر هذا كلَّه. كلَّ هذه الخِدر التي قام بها مع صديقه لوكاس، ذكريات يعشق أن تدور في رأسه كما لو كانت فيلم سينما.

لم يعد ماكسيم قادرًا على التَّأكَّد من عيني لوكاس هل هي زرقاوان أم خضراوان أم بُنِّيَّتان، ومن شعره هل هو مجعَّد

أم أملس. لكنّه يتذكّر ضحكات لوكاس، ومشاعر الخوف التي
اختبرها معًا، وسعادتتهما في افتعال المقلب، ومضايقة
الآخرين ... ما زال قادرًا على أن يقول إنّ لوكاس كان مُضحكًا،
ورباضيًا، وجبانًا، ولطيفًا، وصادقًا. بإمكانه أن يتذكّر أيضًا
ما يُحبّه صديقه: القراءة أم مشاهدة التلفاز. هذا كلّ يُمثّل
شخصيّة لوكاس.



عندما يموت كائن بشريّ، يموت جسده. أمّا شخصيّته
فتبقى حاضرة هنا. وهي تستمرّ في الوجود. إنّها تعيش
في ذكريات الآخرين، تمامًا كما يعيش لوكاس في ذكريات
ماكسيم.

شخصية... أثر...

اصطفّت كلير Claire ووالداها في ممّر الانتظار من أجل دخول المتحف: إنّهُ اليوم الأوّل لعرض لوحات بيكاسو. لم تعد كلير تحتمل الانتظار، إذ إنّها دائماً تشعر بالضجر من زيارة المتاحف، لا سيّما أنّه ينبغي لها أن تقف ساعات طويلة. في اللحظة التي راحت تتذمّر فيها، تقدّم المصطّقون، ووجدت نفسها في الصّالة الأولى، أمام عشرات اللّوحات. لا يُعقل! تبدو هذه اللوحات مثل رسومات الأطفال، فهي تعجّ بالألوان، وبصور نساء ذوات رؤوس ملتوية، وأنف تحت الأذنين، ووجوه مع عين في الأعلى، وعين في الأسفل! وجدت كلير بيكاسو هذا رسامًا هزليًا مضحكًا. في نهاية المطاف، لم تكن الزّيارة عديمة الفائدة، غداً تُحدّث رفيقاتها عن هذه اللّوحات، إذ إنّ هذا الخبر يروق لهم بلا أدنى شكّ.

إذا أنجبت كلير أطفالاً في يوم ما، فربّما تصطحبهما لرؤية لوحات بيكاسو. قل كذلك عن أحفاد كلير. بعد ألف أو ألفي عام، سيصطّف النّاس في ممّرات انتظار طويلة أمام المتاحف لرؤية لوحاته. والنّاس سيواصلون الحديث عنه. مع ذلك، بيكاسو هو شخص ميت، إذ لم يعد يملك جسداً يعيش فيه. لكنّه يبقى حيّاً دائماً بفضل رسوماته، ولوحاته. ترك أثراً منه في هذا العالم، أثراً يحمل شخصيّته.

كلّ الكائنات البشريّة تترك أثراً. وكلّ واحد يترك أثراً مختلفاً، لأنّ حياة كلّ شخص تختلف عن حياة الآخرين.



أثر... نفس

هذا الأثر ليس على الدّوام لوحه، أو كتابًا، أو شيئًا يُمكن رؤيته. غالبًا ما يكون عبارة عن ذكرى، ذكرى شخصيّة إنسانٍ ما. وعليه، يُمكن أن نُسَمّي هذا الأثر التّفنّس.

فالرّوح لا تُرى، ولا تُلمّس، ولا تملك فَمّا لكي تتكلّم، ولا أذنًا لكي تسمع، ولا قدمين لكي تتحرّك.

ليس لنا أن نُتعب أنفسنا متسائلين: "أين هي التّفنّس؟" فهذا السّؤال يُشبهه سؤالنا: أين يوجد الفِكر أو الفِكرة؟ يُمكننا أن نبحث عن الإجابة أيّامًا، وسنوات، وقرونًا، من دون أن نعثر على إجابة.



قام والد ليزا بتقشير الفاصولياء الخضراء من أجل وجبة العشاء. ليزا تكره الفاصولياء الخضراء. دخلت المطبخ بسرور كبير: "أبي هل شاهدتَ المطعم الجديد الذي تمّ افتتاحه للتوّ بالقرب مِنّا؟ إنَّهم يقومون بدعاية مذهلة، فمع كلّ وجبة بيتزا تطلبها تحصل على وجبة ثانية مجّانيّة". نظر إليها والدها بطرف عينه: "ليزا، تجول خلف رأسك فكرة مأكرة!..." سمع أخوها الصّغير هذه الكلمات، واندفع وراء ظهر ليزا، وراح يُشاهد ماذا يوجد خلف رأسها. بحث جيّدًا، لأنّ والده قال: "توجد خلف الرّأس فكرة صغيرة". لكنّه لم يرَ شيئًا.

بطبيعة الحال، لا يوجد شيء وراء رأس ليزا. مع ذلك، فإنّ فكرتها توجد حقًّا: الدّهاب إلى محلّ البيتزا لتجنّب تناول الفاصولياء الخضراء. قد يرتبك الوالد إذا اضطرّ أن يشرح لابنه أين توجد هذه الفكرة، تمامًا كما ننزعج عندما نريد أن نشرح أين توجد الرّوح.

لماذا نموت؟

الكائنات البشريّة تموت. ونحن حتّمًا سنموت في يوم من الأيام. لكن لماذا؟ لِمَ لا نعيش إلى الأبد؟

المادّة نفسها لا تموت. وفي الوقت عينه تبقى هي نفسها: لا يوجد اختلاف بين حصة عمرها مئة عام، وحصة اليوم.

الحصاة لا تموت، لأنّها لا تتغيّر أبدًا. لا تموت لأنّها لا تعيش أبدًا. كلّ ما يتغيّر، ويكبر، وينمو، يموت: كلّ ما يحيا يموت. يبدو مستغربًا ما سنقوله، لكنّنا نموت لأنّنا نحيا!

من الممكن التّعرّف على الشّخص الذي يشيخ ويُصبح عجوزًا : شعره أصبح أبيض، أو تساقط بأكمله، ولم يعد يستطيع الوقوف بشكل مستقيم تمامًا، ولا يستطيع الرّكض، بشرته متجعّدة تمامًا، ويتنّفس بسرعة عندما يصعد الأدراج، ولم يعد قادرًا على الرؤية بشكل واضح، وبات يسمع بصعوبة. يُمكننا التّفكير في أنّه بات قريبًا من الموت.

نحن نعلم أيضًا أنّه حَظِيَ بحياة طويلة: كان طفلًا صغيرًا، وكَبَر، وشاخ. نعم، كان يتغيّر ببطء يومًا بعد يوم.

والموت سيكون التغيّر الأخير في حياته. الموت جزءٌ من الحياة، إنّهُ مرحلة من مراحلها، المرحلة الأخيرة.



ماذا لو أنّ الإنسان لا يموت؟

تُرى ماذا سيحدث داخل عائلة ما برح جميع أفرادها أحياء منذ مرحلة ما قبل التاريخ؟

يعود هاتو Hatou من الصيد وينفجر غاضباً في وجه أبيه: "أبي توقّف عن نحت العظام، نحن نملك سكاكين الآن" الأب حزين: لقد تعودّ نحت عظام ماموث⁽²⁾، فلماذا عليه أن يُغيّر عادته؟ الحقّ أنّ لديه مُشكلة في استخدام الأدوات الجديدة هذه. في الوقت الذي كان هاتو يفرك الأحجار ليُشعل النّار، رَمَقه والده بازدراء: قد يأكل لحم الغزال نيئاً، كما كان يفعل عندما كان شابّاً. في هذه اللّحظة، وصلت ابنة هاتو، إسرائا، وصرخت: "ستسغرق هذه النّار ساعات طويلة كي تشتعل، وتملأ المكان بالدّخان. اذهب واطهّ لحم الغزال لديّ في الفرن الكهربيّ". مسكينُ هاتو: إنّهُ فخورٌ بمعرفته كيفيّة إشعال النّار. كي لا يتشاجر وابنته إسرائا، حمل الغزال على كتفيه وركض وراء سيّارة ابنته. كان محالاً أن يركب هذا الشيء الذي يُصدر ضوضاء، ويبصق الدّخان. عندما وصل وابنته، غضب أولاد إسرائا: "نحن في طور إعداد شريحة بيتزا، ألا تعلمان أنّنا توقّفنا عن تناول لحم الغزال منذ قرون؟!"

(2) الماموث أو البهْمُوث (باللاتينية: Mammuthus) جنس من الثدييات الفيلية من فصيلة الفيلة، وفيل ضخّم منقرض كان يعيش في أوروبا الوسطى قبل مليون سنة، حدد ارتفاعه بنحو 4. 5 متر حتى (غاربه) منكبيه، وقد عاصر الإنسان ما قبل التاريخ وفي سيبيريا بنوع خاص. واكتشفت أول جثة كاملة لفيل الماموث عند مصب نهر لينّا شمال سيبيريا وهي مدفونة تحت طبقة من الجليد الذي حفظها سليمة تماماً منذ آلاف السنين وذلك في العام 1798، وهو بأنياب معقوفة وشعر برّي. وقد عاصر وحيد القرن الصوفي (النمر السيفي الضخم).

نعم، نُدرِك، حتمًا، أنَّ الأرض ستمتلى بأنايس كثيرين إن لم
يُمت أحدًا!

لكنَّ المشكلة الأكبر تكمن في قبول التغيّرات. في هذه
القصة، هاتو، وابنته، والجّد قبلوا هذه التغيّرات، وإن بدا هذا
الأمر صعبًا ومُحزنًا لهم.

لكن لا يُمكن لجميع البشر أن يكونوا كذلك: فالحياة
الطويلة كفيلة بإثارة الخوف في نفوسهم من تغيير عاداتهم،
وعدم فهم ما يقوم به الشبان، وما يُحبّونه، والطريقة التي
يعيشون بها. بعد حياةٍ طويلة، غالبًا ما يستشعر المرء أن
يتقبّل ما هو جديد: إذ إنّ هذا الجديد يُرهقهم.

العودة إلى الماضي: درّس في الجغرافيا بتاريخ ٧ حزيران
١٥٤٠. يشرح المعلّم أنَّ الأرض مُسطّحة، وأنّا إذا مشينا إلى
نهاية طرفها فقد نغامر بأن نسقط في حفرة ضخمة من دون
أن نتوقّف. لا شكّ في أنّ المعلّم سمع رجلاً ما يقول إنّ الأرض
دائريّة. لكن بئس هذه الفكرة! فهل لهذا الرّجل أن يشرح
كيف يقف النّاس على أرض دائريّة! في الجهة الأخرى من
الأرض سيكون رأس النّاس إلى أسفل؟ علاوة على ذلك، هذا
الرّجل المجنون وُضع في السّجن. اعتقد النّاس بدايةً أنّ الأرض
مسطّحة. هذا أمر طبيعيّ، إذ لم يمتلك النّاس، لفترة طويلة،
وسائل تُمكنهم من أن يدركوا أنّ تصوّرهم هذا كان خاطئًا.
ولمّا تعود النّاس أن يتصوّروا الأرض مسطّحة، لم يرغب أحد
منهم في الاستماع إلى أولئك الذين قالوا إنّها دائريّة.

إنّهُ لأمر معقّد أن يقبل الإنسان ما هو جديد، وأن يقبل

ما يُناقض تصوّراتنا. في الغالب، الشّباب يجرّؤون على القيام بهذا الأمر.



أحيانًا يكون الأمر سابقًا لأوانه

في العادة، يموت الإنسان بعد حياة طويلة، أي عندما يُصبح طاعنًا في السنّ. أضف إلى ذلك، نقول إنّهُ مات "ميتة طبيعيّة". لكن، في بعض الأحيان، يأتي الموت قبل أوانه، بسبب حادث أو مرض.

عندما وُلِدَت إيزابيل، كانت والدة جدّتها قد ماتت. حدّثها والداها عنها، وأخبراها أنّها كانت نَحّاة. في منزل إيزابيل يوجد تمثالان نحتتهما والدة جدّتها. ذات يوم، عثرت إيزابيل، وهي تبحث في العلّية، على كتلة من الحجر الأبيض. يبدو أنّ أحدًا كان قد بدأ بنحته. عندما تفحصته جيّدًا، رأت قدمين طويلتين، إنّهما بالتأكيد قدما امرأة. لم يُسعف الوقت والدة جدّتها كي تفرغ من نحت هذا التّمثال. يا للأسف! شعرت إيزابيل بالحسرة لأنّها لم تتمكّن من رؤية تمثال هذه المرأة منجرًا، لكنّها تخيلت أنّه كان سيظهر على هيئة رائعة.

ربّما كان تمثالاً لامرأة شابة تعزف على الكمان، أو امرأة
تقرأ كتاباً، أو امرأة تضحك، أو امرأة يحتضنها رجل. عندما
يموت كائن بشريٌّ مُبكرًا، يُشبه بعض الشّبه هذا التّمثال. لم
يُسعفه الوقت لكي يبني نفسه حتّى التّهاية.
الحقّ أنّه من الصّعب جدًّا تقبّل هذا الموت.
فالأمر الطّبيعيّ أن نولد، ونكبر، ونشيخ،
ونموت.



بعد الموت

طالما بحث البشر عن وسائل تُمكنهم من القول بأنّ
شيئًا ما يستمرّ عندما يتوقّف الجسم عن الحياة، أي إنّ
النّفس تستمرّ في العيش. وسائل تُمكنهم من القول إنّ
الكائن البشريّ ليس جسدًا فحسب. بحثوا دائمًا عن إظهار
ما هو أزلّيّ في الإنسان.

بنى النّاس، في مصر، منذ زمن بعيد، قبورًا كبيرة، قبورًا
على شكل منازل توضع فيها أجساد الموتى. كانت عائلة
الميت توضع في القبر الطّعام، والثّياب، والصّحون، والكؤوس،
والنّقود. وضع المصريّون في القبور كلّ ما يلزم للعيش: كان
الموت، في نظرهم، حياةً أخرى. كانوا يعتقدون أنّ الميت
يذهب في رحلة طويلة إلى بلاد مجهولة من أجل حياة أخرى.

بعد مرور مئات السّنين، عندما اكتشفنا هذه القبور، تبّين
لنا أنّ شيئًا لم يتحرّك. كلّ شيء كان هنا، فالميت لم يتناول
شيئًا، ولم يصرف النّقود. الحقّ أنّه لم يذهب في أيّ رحلة،
فجسده كان دائمًا هنا. لكنّ المصريّين بإعدادهم القبور على

هذا النَّحو أرادوا أن يُبَيِّنوا أنَّ كلَّ شيء لا ينتهي بعد الموت.

اعتقد النَّاس أيضًا منذ زمن طويل أنَّ النَّفس تتنَزَّه عندما ننام، كما لو كانت شبحًا صغيرًا. كما اعتقدوا أنَّها تعود إلى جسدنا عندما نستيقظ. ومن ثَمَّ، عندما نموت، تذهب إلى مملكة الموتى. وبعد، قالوا إنَّ هذه المملكة كانت تحت الأرض، أو في السَّماء مع النُّجوم. اعتقدوا أيضًا أنَّ النُّجوم أنفس، أجمل الأنفس. لأنَّها كانت أنفس النَّاس الذين عاشوا حياة جميلة جدًّا على الأرض.

منذ الأزل، وفي جميع البلدان، يتصوَّر الكائن البشريِّ ماذا يُوجد بعد الموت. ما يُطلق عليه البشر النَّفس، يتخيَّلونها عائمةً، كالهواء. أو أنَّها في طور البحث عن جسم جديد لكي تسكنه، على سبيل المثال: جسم طفل على وشك الولادة. أو بالأحرى تنتظر أن يحيا الجسم الميت من جديد كي تعود وتسكنه.



نخشى موت الأناس الذين نُحِبُّهم

أن نحيا مع الأناس الذين نُحِبُّهم، فتلك أعظم متعة في حياتنا كبشر. فنحن لا نشعر بالسعادة عندما يغيب الأشخاص الذين نُحِبُّهم. إذ ننتظر عودتهم بفارغ الصبر. لذا يبدو طبيعيًّا أن نخشى موت الأناس الذين نُحِبُّهم. ذلك بأنَّ الشَّخص الذي يموت يغيب إلى الأبد. إذ لا يُمكنه أن يعود. الواقع أنَّ العالم بأسره: الأطفال، والراشدين، والطَّاعنين في السَّن يخشون العيش من دون الأناس الذين يُحِبُّونهم. وعليه، ليس الموت، في نهاية الأمر، ما يُولِّد الخوف. ما يُولِّد الخوف هو الاستمرار في العيش منفصلين عن النَّاس الذين نُحِبُّهم.



لكن ماذا عن موتنا؟

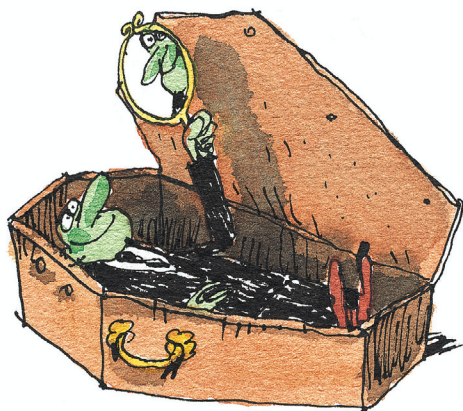
يحدث اضطراب عظيم في كواليس السيرك: تُقدّم الفرقة عرضًا جديدًا للمرّة الأولى. يبدأ هذا العرض في غضون عشر دقائق. البهلوانان جيم وأليس سعيان جدًّا باقتراب موعد الليلة الكبيرة: يُحبّان عرضهما الجديد، إنّهُ عرض فريد لم يقم به أيّ شخص في العالم على الإطلاق. تدرّبا على قفزاتهما لأشهر، وشعرا بأنّهما جاهزان، ملبسهما متألّثة، كما وضعا المكياج الخاصّ بهما، وكلّ أدواتهما هنا. بالتأكيد، جيم وأليس متوتّران بعض الشيء، لكنّهما يعلمان أنّهما ما إن يعتليان المسرح حتّى يزول التوتّر.

أمّا روجه Roger المهزّج فراح يتصبّب عرقًا. إنّهُ عصبيّ على نحوٍ مخيف: كان محالًّا عليه أن يعثر على حذائه الأيسر. أضف إلى ذلك، كان يشعر بفقدان الذاكرة، علاوة على ذلك، لم يُكرّر نكاته بما فيه الكفاية. استعدّ في اللّحظة الأخيرة لأنّه نسي أنّ العرض الأوّل سيكون اللّيلة. ودّ روجه لو تنشقّ الأرض وتبلعه. أمّا السّاحر هاري فكان منزعجًا، يأسف لعدم تحضيره عرض التّحليق في الهواء. إنّها خدعة من الخدع التي تُفضّلها الجماهير: رؤية الأشياء وحتّى المتفجّج يطير في الهواء، إنّهُ السّحر بعينه! لكنّ هذا العرض صعب جدًّا، ويحتاج إلى تدريب كبير، وإلى صبر كي ينجح. لذا راح السّاحر يلوم نفسه. الواقع أنّ هاري حزين وغازب. كم ودّ لو يعود به الزّمن شهرًا واحدًا إلى الوراء ليتحلّى بمزيد من العزم والإقدام.

في لحظة الموت، ثمّة أناس مثل جيم وأليس: أناس جاهزون. أناس سعداء بما قاموا به، كائنات بشريّة قادت حياتها بحُرّيّة، وشعرت بأنّها جعلت حياتها ناجحة. أناس يعلمون أنّهم تركوا أثرًا جميلًا خلفهم.

ثمّة أناس آخرون مثل روحير: مذعورون. لم يُفكّر روجه في موعد الليلة العظيمة، بل نسيها. يُمكننا أن ننسى أنّ الموت واقع، وأن نعتقد أنّنا سنعيش إلى الأبد. نترك أنفسنا نُقاد من دون أن نختار الاتجاه بأنفسنا، ومن دون أن نختار معنى حياتنا. فإذا الموت يُداهمنا، وعندها يكون الذعر: نُدرك في تلك اللحظة أنّنا نسينا ببساطة أن نعيش، لأنّنا نسينا أنّنا سنموت.

ثمّة أناس مثل هاري: تعتريهم مشاعر التّدم. فكّر هاري في ما ينبغي له أن يقوم به، ولم يُحقّق أبدًا ما يُريده. عندما يأتي الموت، يرغب النّاس في العودة مجدّدًا إلى بداية حياتهم، والرّجوع بالزّمن إلى الوراء. لكن يا للأسف، فات الأوان.



الموت يجعلنا نبذل جهدًا مضاعفًا

نرى بوضوح أنّ ما يجري في خلال الحياة، أي قبل الموت، هو الأكثر أهميّة. فما هو أكثر أهميّة بالنسبة إلى جيم، وأليس، وروحير، وهاري، هو عملهم، وابتكاراتهم، وإبداعاتهم، وتدريباتهم، وتحضير مادّتهم ...

إذا نسينا أنّ الموت سيأتي في يوم من الأيام، فبإمكاننا أن نُرجع كلّ شيء إلى الغد. كلّ يوم، نقول في أنفسنا: هذا الأمر ينتظر، ونحن نملك الوقت، فلنقم به غدًا، أو بعد غد. لكننا، في نهاية المطاف، لا نفعل شيئًا.

ينبغي لك، إذا أردت أن تنجح في حياتك، أن تتذكّر دائمًا أنّها لن تدوم إلى الأبد. وإلاّ لماذا تتكبّد المشقّات، وتبذل جهودًا؟

ختامًا، بما أنّ الحياة ستتوقّف يومًا، فإنّ ذلك يدفعنا إلى بذل الجهود من أجل إنجاحها، ومن أجل توجيهها بشكل جيّد.

لذلك السّؤال الحقيقيّ هو: "كيف نعيش؟" وليس: "لماذا نموت؟"

- انتهى -



ها...
الموت،
يا للأسف

عُدْ مَرَّةً أُخْرَى
فَلَدَيَّ أُمُور
كثيرة أقوم بها

أنشطة



في بعض الأحيان، نلتقي بعض الأصدقاء (صديقان أو ثلاثة أصدقاء)، لكي نُشاهد فيلمًا، أو نلعب لعبة، أو نُعِدَّ عَزْصًا تقديميًا، أو ببساطة لنستمع إلى الموسيقى.



أو أننا نجتمع هنا، معًا، من دون القيام بأمرٍ مُحدَّد، ويحدث أن يدور الحوار حول موضوع يهم الجميع.

وعليه، نخطر من دون أن نُدرِك في نقاشات كبيرة حول الأهل، والأساتذة، والأصدقاء، والحب، والحرب، والعار، والظلم ... نُصِلح العالم! وفي المساء، عندما نجد أنفسنا بمفردنا، نُعيد التّفكير في كلّ هذه التّقاشات.

إنّه لأمر جيّد حقًا أن نتمكّن من الحديث عن كلّ هذا، وإن كُنّا نغضب في بعض الأحيان لأننا لا نتفق تمامًا مع ما يقوله الآخرون، أو لأنّ هناك أشخاصًا يُريدون التكلّم طَوَالَ الوقت، ولا يستمعون إلى أيّ شيء.



أنشطة

لكن إذا كان ما ذكرناه من شأن الأحاديث أمرًا جيّدًا، فَلِمَ لا نُنظّم نقاشات، وحوارات، حول موضوع نختاره معًا؟ في البيت، أو لدى الأصدقاء، أو - ولمَ لا - في المدرسة؟

إليكم إذاً بعض الإرشادات والجيل التي من شأنها إنجاح "تذوّق فلسفيّ" حقيقيّ:



1 - ينبغي ألاّ يزيد عدد المشاركين عن عشرة أشخاص.

2 - بطبيعة الحال يجب إعداد وجبة جيّدة، من أجل تناول الطّعام والشّراب!

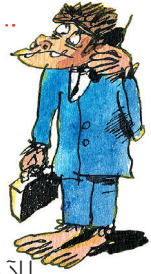
3 - من الأفضل أن يتمّ الجلوس أرضًا ... يُمكننا أن نجلس كما نُريد، وأن نتكلّم بحريّة! كما يُمكننا أن نضع الوجبة في وسط الدّائرة ...



4 - يضطلع شخص ما بمهمّة طرح عدد

أنشطة

من الموضوعات. إلا إذا اتفق الجميع، من قبل،
على التحدّث عن شيء مُحدّد.



5 - كلّ شخص يُفكّر من أجل اختيار
الموضوع الذي يُفضّله، من دون أن يقول شيئاً
للآخرين كي لا يؤثّر فيهم.



6 - عندما يختار الجميع، نُصوّت
للموضوع الذي نرغب في التحدّث
عنه. ملاحظة: صوت واحد لكلّ
شخص.

7 - يفوز الموضوع الذي يحصل
على أكبر عددٍ من الأصوات: هذا ما
سنتكلّم عنه اليوم.

أما الإرشادات والحيل الأخرى، لكي ننجح في سماع بعضنا
بعضاً، ولكي لا نُهاجم بعضنا بعضاً، ولكي نقبل آراء غيرنا
المختلفة، ولكي ندع جميع المشاركين
يتكلّمون، فسوف تجدونها بأنفسكم
سريعاً!



أنشطة



لنبدأ! امنحوا أنفسكم ساعة. لكن بعد كل شيء، بإمكانكم أيضًا أن تقضوا النهار بأكمله هنا

عصائر الفواكه والحلويات موجودة هنا، والموضوع أيضًا: اخترتم اليوم "الحياة والموت". إذا تعثّر البدء بالحوار - يحدث هذا الأمر أحيانًا، إذ ننظر جميعًا إلى بعضنا بعضًا، من دون أن يعرف أيّ ممّا ماذا يقول - فإليك بعض الطرق من أجل الشروع في النقاش:

- هل يُوجد في العالم أناس مجانيين مثل إيسو، ملك كوكب زاربوس (ص 16)؟

- جاء في الصفحة 21 أنّ الإنسان يبتكر حياته. ونحن، أيّ حياة نرغب في ابتكارها؟

- هل نُفضّل أن نعيش مع أجدادنا في عصور ما قبل التاريخ، مثل أطفال إسرائ (ص 31)؟

- ختمًا، هل نحن مثل جيم وأليس، البهلوانَيْن، أو مثل روجر، المهرّج، أو بالأحرى مثل هاري المروّض (ص 39 و40)؟



أنشطة

- لكي نساعد بعضنا، يُمكننا التَّنْقُل في الكتاب على هذا النَّحو: يقرأ أحدٌ ما مقطعًا بصوتٍ مرتفع، أو قصّة من القصص القصيرة. من شأن هذا الأمر أن يجعلنا نُفكّر في قصص حصلت لنا، أو حصلت لآخرين، نرويها، ونسعى معًا، إلى فهم مغزاها.

- يُمكننا أيضًا أن نطرح أسئلة على أنفسنا، وعلى الآخرين. ويُمكننا أن نبحث معًا عن إجابات ... أو أن ندرك أننا لن نعثر في بعض الأحيان على إجابة: فخلف كلّ سؤال يختبئ سؤال آخر، وسؤال آخر أيضًا، وهكذا دواليك ...

- إليكم مجموعة من الأسئلة التي يحتاج تناولها إلى ساعات!

- ”هل نختار حياتنا؟ كيف نريد أن نعيش؟ ماذا يبقى عندما نموت؟ هل هنا حيّوات أكثر أهميّة من حيّوات أخرى؟ هل تملك حياة عنكبوت، وحياة حصان، وحياة كائن بشريّ الأهميّة عينها؟ ما الهدف من التّفكير في الموت؟ لماذا يُخيفنا الموت في كثير من الأحيان؟“





